

لقد ترعرعت في المكتبات



قبل أن تحصل والدتي على درجة

الماجستير في أدب الطفل، كانت تعمل أمينة مكتبة في مكتبة عامة في مونتريال حيث كانت تعمل بمثابة إنترنت قبل أن يوجد إنترنت. كان الناس يتصلون بها ويسألونها، وكانت تمشي بين ممرات المكتبة لتجد الكتاب أو الدورية التي فيها إجابات على أسئلتهم. "كم الساعة في مدينة نيوفاوندلاند Newfoundland؟" "ما الفرق بين القاطور (1) والتمساح (2)؟" "ما هي قيمة p (القيمة الاحتمالية، 3) في الأبحاث؟" غالبًا ما أذهب للعمل معها أيام الأحد. كانت لي الحرية، في التجول في المكتبة بمفردي، وكانت هناك كافيتريا تقدم وجبات خفيفة، وهو ما يريده كل الأطفال مثلي بالفعل - الشعور بالاستقلال في مكان جيد الإضاءة ووجبات خفيفة.

قبل تقاعده كان والدي بروفيسور في الفلسفة. ذهبت إلى مكتبات مختلفة معه أيضًا. بخلاف المبنى الحديث لمكتبة (البانغلو bungalow) التي تعمل فيه والدتي، كانت مكتبة والدي عبارة عن مبنى حجري، مضاء بشكل خافت، تزدان بخشب داكن ورفوف مرتفعة. كنت أذهب إلى هذه المكتبة بأقل تواترًا. أتذكر أنني كنت أتطلع إلى الكتب المصفوفة عاليًا لدرجة أنني احتاج إلى سلم كي أصل إليها وقلت في نفسي، "يومًا ما سأقرأ كل كتاب في العالم."

لم أصطحب ابني قط إلى المكتبة. كان في الثانية من عمره عندما انتشرت الجائحة، وكان مزعجاً قبل ذلك العمر (ولا يزال كذلك)، لذا اصطحابه لا زال مدرجاً في قائمة المهام التي أحتاج القيام بها لاحقاً. لكن شقتنا مليئة بالكتب. كتب الفن، والكتب المصورة، وكتب الطبخ، ورف من الأشياء الروحية الغربية التي أعود إلى قراءتها مراراً وتكراراً، واليوميات والروايات ومجموعات من المقالات وكتاب عن طرق تقطيع الخضار، وكتاب إيرلنداويديا Irelandopedia، وكتاب باسكيات Basquiat. بعد كل بضع سنوات أقوم بالتخلص من مقتنياتي من الكتب لأحافظ على مصداقيتي. أتخلص من الكتب التي لم أكمل قراءتها، أو التي كبر عليها طفلي عمراً (لا تتلاءم مع عمر طفلي حيث تجاوزها عمراً)، أو التي اشتريتها لأنني كنت أظن أنها ستبدو رائعة على الرف ولكن لم أقرأها قط.

قبل أن أخرج من الكلية تاركةً لها، كان لدي أستاذة مرعبة علمتني أنه لكي أفهم [الكاتب والشاعر الإيرلندي] جيمس جويس، يجب عليك أولاً أن تقرئيه بصوت عالٍ. صادفتها في مكتبة الجامعة في نهاية الفصل الدراسي - كنت متحمسةً وتكلمت بسرعة؛ بينما كانت هي أنيقة ووافية للنظر. هممت في الكلام، وأخبرتها أنها كانت أفضل مادة دراسية درستها معها على الإطلاق، وأني أحببت وأحببت وأحببت الكتاب (نعم، ذلك الكتاب)، وشكرتها على تعليمها لي كيف أقرأ. قالت، "أنت قارئة جيدة للغاية"، وهذا ما غير حياتي.

فعندما يحين الوقت الملائم، سأخذ طفلي إلى مكتبة بروكلين العامة. سنقوم بتسمية الحيوانات والأيقونات المرسومة، على الزجاج الملون فوق المدخل، ثم نمشي بين الأعمدة المذهبة إلى مدخل القاعة المضاء بشكل جيد. سوف يتردد صدى صوته الطفولي العالي في القاعة (سيحب ذلك)، وسنختار مكاناً لنجلس ومعنا مجموعة من الكتب، مستكشفين أكواناً عملاقة جديدة. لن نتصفح كل كتاب، لكننا سنبدأ بقراءتها معاً في زاوية من زوايا المكتبة، لكن بصوت عالٍ لنستوعب المعنى.